الخطاب الديني وأزمة المعنى محمد أركون أنموذجا

Religious discourse and the crisis of meaning, Muhammad Arkon as model

خضراوي كنزة

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، مخبر فلسفة العلوم الإنسانية

kenza.khadraoui@univ-constantine2.dz

تاريخ الاستلام: 2022/06/08 تاريخ القبول: 2023/03/16 تاريخ النشر: 2023/07/11

ملخص:

حاول محمد أركون فهم خصوصية التجربة الدينية، في المنظومة الإسلامية، وربطها بأزمة المعنى؛ لأن الخطاب الديني الإسلامي المعاصر عانى من قيود حالت بينه وبين إنتاجه للمعنى. ففهم الخطاب الديني مرتبط بالبحث في جدل الدين والمجتمع، والبحث في مؤشر أزمة الخطاب الديني ومحاولة تجاوزها. فأركون ركز على اعادة قراءة العقل الإسلامي الدوغمائي، واعتمد على المنهج الأركيولوجي للبحث عن ابستمية جديدة توجه الفكر الإسلامي لإنتاج معنى جديد للخطاب الديني داخل النص، من خلال إعادة قراءة القرآن بمناهج جديدة لتأصيل المعنى.

الكلمات المفتاحية: خطاب، الدين، عقل، أزمة، نقد.

Abstract:

Muhammad Akron tried understand the privacy of the religious experience in the Islamic system §and link it to the crisis of meaning§ because the contemporary Islamic religious discourse suffered from restriction that prevented it from producing meaning. Understanding religious is linked to researching the controversy of religion and society, and researching the indicator of the religious discourse crisis and re-reading the dogmatic Islamic mind § and relied on the archaeological approach to search for a new epistemology that directs Islamic thought to produce a meaning for religious discourse within the text by re-ading the Quran with new approaches to rooting the meaning.

1.مقدمة:

يعد الخطاب الديني من أهم المواضيع الرئيسية التي تم الإشتغال عليها في عصرنا الحالي، وتعتبر الظاهرة الدينية من أبرز مفاهيمها لما تضمنته من ردود أفعال مختلفة حول تفسير القرآن الكريم. إذ شكل الخطاب الإسلامي بؤرة اهتمام الخطاب الديني الذي يستند إلى القرآن والسنة النبوية، ومصادر التشريع الإسلامي. ولقد سعى الخطاب الديني إلى نشر عقيدة الدين الإسلامي، وقد أثارت قضية تجديد الخطاب الديني جدلا كبيرا في الساحة العربية والإسلامية، حيث تبنى العديد من المفكرين العرب والمسلمون بهذا التجديد ومن بينهم المفكر الجزئري محمد أركون (1956- 2010) ونحن بدورنا نهدف من خلال هذا المقال إلى تقديم جزء من مشروع أركون الفكري النقدي والذي سنتطرق فيه إلى التساؤل التالي:
مانوع الخطاب الذي ناقشه محمد أركون؟ وفيما يتمثل المشروع الفكري لأركون؟

2.محمد أركون والمشروع الفكري

2. 1 من هو محمد أركون:

محمد أركون مفكر جزائريي الأصل من بلدة توريوة ميمون في منطقة القبائل. درس الإبتدائية في قريته والثانوية في وهران، وكانت دراسته الجامعية بكلية الفلسفة بالجزائر، ثم في السوروبون قي باريس. درس اللغة العربية والأدب في باريس سنة 1956، وحصل على دكتوراه في الفلسفة من جامعة السوروبون سنة 1968. شغل عدة مناصبن فهو أستاذ متقاعد في السوروبون، وأستاذ زائر وعضو في مجلس إدارة معاهد الدراسات الإسلامية في لندن منذ 1993، وهو المدير العلمي لمجلة Arabica منذ سنة 1980، و عضو اللجنة الدولية لتحكيم جائزة الأونيسكو لأصول تربية السلام لسنة 2002، وعضو في لجنة تحكيم الجائزة العربية الفرنسية لسنة 2002 التي أنشأها السفراء العرب في فرنسا، وعضو لجنة العلمنة في فرنسا لسنة 2003، وقد توفي سنة 2010 إثر مرض في باريس.
كتب عدة كتب بالفرنسية وترجمها هاشم صالح إلى العربية، منها:

- تاريخية الفكر العربي الإسلامي.
- الفكر الإسلامي: قراءة علمية.
- الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد.
- الإسلام، أوروبا، الغرب.
- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل.
- نزعة الأنسنة في الفكر العربي.
- من الإجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي.
- معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية.
- قضايا في نقد العقل الديني. (الحسن، 2012، الصفحات 49-51).

2.2 الأنسنة والمقدس في فكر محمد أركون:

لقد تأثر محمد أركون في قراءته للنص الديني بالمقاربة التي اعتمدها الفيلسوف الفرنسي بول ريكور (Paul Ricœur 1913-2005)، فريكور قد عمل على توسيع الهرمنيوطيقا* إلى أبعد الحدود، فأصبح مجال الهرمنيوطيقا يشمل حتى العلوم الإنسانية والاجتماعية. إن النص الديني عند ريكور يؤول هرمنيوطيقيا من خلال استخراج المعنى الظاهر من المعنى الكامن أي الداخلي، فقد أعطى ريكور أهمية كبرى للقراءة اللغوية باعتبارها بوابة المعنى، وهذا هو السبب الرئيسي الذي جعل أركون يتبع نفس الطريق الذي سلكه ريكور. فالقاعدة الأساسية التي بنى بها أركون فكره تتمثل في استثماره للدراسات اللسانية، وعلى الفينومولوجيا والأركيولوجيا والجينالوجيا. فقد دعا إلى ضرورة فتح النص القرآني على علوم الإنسان الحديثة والاسترشاد ببول ريكور في دراسته للمقدس، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن أركون متأثر جدا بريكور وقد اتبع أركون نفس المنهج الذي سلكه ريكور من خلال أنسنة النص الديني (زروخي، 2017، صفحة 176).

لقد سعى أركون إلى تحقيق هدفين رئيسيين من خلال دراساته في مجال الأنسنة هما: أولا الاهتمام بالبعد الديني للوجود، والثاني خلق رابطة نقدية بين الإنسان والمعتقدات الإنسانية الأصلية، مصرا على أهمية التراث الفكري والفلسفي للحضارة الإسلامية. (سدراتي، 2016، صفحة 53)

والهدف الرئيسي من مشروع الأنسة لدى أركون هو اختراق الأطر المنغلقة بقرار سياسي تحت غطاء ديني والعمل على تجاوزها منهجيا، بمعنى أن نتجاوز كل خطاب ديني متستر وراء أهداف سياسية ويمكن أن نطلق على هذا المصطلح بما يسمى المغالطات السياسية. فأركون أراد فهم الإنسان في كليته totalité متبعا طريقة ريكور، ومن هذا المنطلق عمل أركون على دمج عالم النص الديني بعالم القارئ، لأن القارئ Lecteur هو الذي يعيد توجيه معنى النص Signification du text بفعل التأويل الهرمنيوطيقي للرمز والإستعارة والأسطورة التي تسكن النصوص. وهذا القارئ يجب أن يتحلى ببعض الصفات أو الشروط لتأويل النص الديني. فقارئ النص الديني سيواجه صعوبات في هذا الميدان وخاصة في الفكر الإسلامي لأن المساس بالمقدس في نظر المسلمين هو إنكار لعقيدتهم وهذا مرفوض لدى المسلمين، ولهذا نجد العمل النقدي التاريخي في مشاريع النهضة غائب لدى أركون، كونها تهتم بالخارج دون الظاهر. بمعنى أن الدارس لمظاهر المجتمعات إهتم فقط بالبنية السطحية وأهمل البنية الداخلية، وهذا مرفوض فيجب أن نُخضع البنية الداخلية والخارجية معا للمراجعة النقدية وكذلك المسائلة، وعن كيفية نقلها إلى الإسلام، وعن كيفية قبولها ورفضها رغم تأكيد أركون على أن مبدأ الرفض مثل رفضه طريقة فقه اللغة Philology في دراسة النصوص الدينية، ورفض أعمال طه حسين الأدبية، وكل الأعمال النقدية الجريئة التي سعت لتوظيف مناهج علوم الإنسان التي أنجزتها الحداثة الغربية. (زروخي، 2017، الصفحات 177-178) وهذا يدل على أن أركون لم يقبل أي شيء كطبق جاهز بل كان يُخضع أي فكر إلى المسائلة وإلى النقد ثم إلى الرفض مع تبرير أسباب الرفض.

فقد أراد من كل هذا أن يعالج محمد مسألة العلمنة والدين، وأخذ الظاهرة الدينية في كليتها، أي عندما أراد دراسة الظاهرة الدينية لم يدرسها عند المسلمين فقط بل جعل دراستها تشمل كذلك الأديان الأخرى كالمسيحية واليهودية. وانتهى للقول بأن الفكر الإسلامي متأثر بشدة بالثقافة الغربية وخاصة الأوروبية، وسبب التأثر يعود إلى كونه غير مدروس أو بالأحرى غير معروف لدى المفكرين الغرب. (أركون، 1996، صفحة 14)

3. الخطاب الديني والمقاربة الألسنية السيميائية في فكر محمد أركون

1.3 الخطاب الديني و أنواعه في فكر محمد أركون:

إن مشكلة الخطاب الإسلامي في نظر أركون تتلخص في أنه إزدهر في القرن الثالث عشر ميلادي، و تراجع في العصر الكلاسيكي. فقد كانت الحضارة الإسلامية متطورة على الحضارة الغربية، والسبب يعود لتلاقح الفلسفة اليونانية بالدين الإسلامي. لهذا نجد أركون يدعوا إلى العلمانية التي لا تلغي الدين، ويرفض العلمانية الغربية التي تطرد الدين خارج دائرة الحقيقة الفكرية والثقافية.

كما أن الخطاب الديني في نظر أركون خطاب سلطوي محكوم بهدفين هما: مجادلة الخطابات السابقة وتدميرها، تقوية الخطاب الجديد وترسيخه وربطه بالكائن المطلق المتعالي.

فإذا دخل الخطاب القرآني إلى التاريخ ينظر إليه على أنه خطاب سيادي جديد، هذا الخطاب القرآني المقوم الأساسي له هي السيادة الإلهية التي تحكم البشرية، فهناك رابطة وثيقة بين الله والبشر تتمثل في بعث الأنبياء والرسل للبشر لطاعة الله من أجل بلوغ النعيم الأخروي، لكن في الواقع أصبح البشر يقفون وراء قناع السيادة الإلهية لتحقيق مصالحهم والتستر وراء الإيديولوجيا من أجل الحفاظ على استمرارهم التاريخي. كل هذا ولد السيطرة على شؤون العامة، لكن أركون لا يكتفي بتحليل المضامين الإيديولوجية للخطاب السلطوي في الإسلام وإنما يبين أن السائد تاريخيا هو أن السيادة والسلطة هما شيئان متداخلان لأنهما

ممارسين من قبل النبي، الذي يمثل سيادة الله على الأرض. (الدين، 2017، صفحة 09) فالخطاب الإسلامي الأول يميل إلى السيطرة لكل الخطابات. وللخطاب الديني أنواع:

- الخطاب الإسلامي الكلاسيكي الذي يفضح عن التراث في مرحلة تشكله وترسيخه داخل مجموعات نصية موثوقة أو صحيحة.

- الخطاب الإستشراقي الذي يطبق على مرحلة التشكيل أو التأسيس أو التثبيت منهجية النقد الفللوجي والتاريخي الذي تغلب عليه النزعة التاريخية والوضعية الخاصة بالقرن التاسع عشر.

- الخطاب الذي تستخدمه علوم الإنسان والمجتمع والذي يهدف إلى إعادة النظر في الخطابات الثلاثة السابقة من أجل الكشف عن الأسئلة المطموسة فيها والمرمية في دائرة المستحيل التفكير فيه ودائرة اللامفكر فيه. (أركون، 1996، الصفحات 80-81)

ثم ينتقل أركون بعد ذلك للحديث عن التفسير ورأى بأنه مرحلة منهجية لحصول الفهم ولتحيين النص، والمسلمين في هذا المجال متخلفين والسبب لعدم وجود دراسات تصنيفية للتفاسير التي تشكلت حول النص القرآني، وكل ما يوجد في هذا المجال المعرفي هي بعض الدراسات الاستشراقية فقط، فنجد أن الغرب يرفض التفاسير الإسلامية لأنها لا ترضي أو لا تسبع رغبتهم المعرفية، بالإضافة إلى غموضها. فالمسلمون يرفضون التفسير الرمزي والمجاز والحكمة. أي أن تفسير الفقهاء للآيلات التشريعية لا يأخذ اطلاقا بعين الاعتبار مسألة نوعية الخطاب القرآني الذي يعطي الأولوية للتعبير المجازي والآليات الخاصة بالخطاب الرمزي، وهذا ما يرتكز عليه الخطاب المعاصر. وفي نفس الوقت نلاحظ أن تحويل الآيات التشريعية إلى سرد قصصي (أي التفسير الحرفي الظاهري المفرط). وهكذا يتخلى الصوفية والباطنية عن جوهر الخطاب القرآني، وبالمقابل يفرضون على الأيات القرآنية تصورات خيالية من أجل التحديد التاريخي والموضعي والتاريخي والتجسيدي للأوضاع والأحداث والشخصيات التي رفض القرآن تسميتها. (سدراتي، 2016، الصفحات 55-56)

في كتابه "من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية" تحدث عن الخطاب النبوي، كونه أكثر رسوخا في الديانة التوحيدية فهذا المفهوم قد أسس في كل التراث الجيني من أجل بلوغ لاهوت الوحي. وقد فرق أركون بين خطاب الوحي، والخطابات المتفرعة عنه كخطاب الفقه أو اللاهوت (علم الكلام) أو التشريع أو التفسير.

ويرى أن النص المؤسس هو الخطاب النبوي أي القرآن بالنسبة للمسلمين، والإنجيل بالنسبة للمسيحيين، والتوراة بالنسبة إلى اليهود. فالخطاب النبوي عند أركون خطاب كوني شامل ينبثق من الأعماق، فهو خطاب يتطلب منا الإستكشاف النقدي للطريقة التي تستخدم فيها الأديان ذلك الجهاز المفهومي المشترك لدى كل الخطابات السردية ويقصد أركون بالجهاز لمفهوم القصة، ومفهوم المقدس، مفهوم النجاة والخلاص، مفهوم التصورات المتفرقة بالزمان والمكان.

فالخطاب القرآني استخدم مجازات وكنايات، وهذا ما جعله مختلفا عن الخطابات العلمية والإقتصادية.

كما نجده أيضا يتحدث عن الخطاب السردي، ويرى بأنه خطاب يجرنا للعودة إلى الوراء فقط. أما عند حديثه عن النزعة الإنسانية في الإسلام الكلاسيكي، نجده يقحم نفسه بالمناقشات والقيم المرتبطة بالإنتاج الفكري والأدبي، بهدف تحريك كل إنجاز جديد للغة، لأن اللغة بالنسبة لأركون المستودع الحافظ للتجارب الإنسانية فهي مقر الكينونة. (سدراتي، 2016، صفحة 54)

ويذهب للقول أن الفكر الحديث يختلف عن الفكر المبني على المعنى الشائع. من خلال أنه يؤشكل كل عملية إنتاج للمعنى، وذلك عن طريق التساؤل عن الآليات اللغوية، والمواقف العقلية، والإكراهات المختلفة التي تجعل أي شكل من أشكال المعنى أو مضامينه عابرا أو ظرفيا أو صفويا أو متحركا أو قابلا للبرهنة على صحته أو خطأه. أما التفسير ما قبل الحديث فيجهل هذا التجذير الفلسفي للتساؤل حول المعنى وآثار المعنى. (أركون، 2005، الصفحات

53-54) ومنه الخطاب الحديث لا يقبل المعنى هكذا في طبق جاهز بل يحاول فهم المعنى من خلال تأويله، أما الخطاب القديم فيفتقر لهذا التأويل.

فعلى دارس للنص الديني أن يتحلى ببعض المواصفات أو الشروط ، أولها أن يكون مطلعا بعلم اللسانيات والسيميائيات الحديثة، وأن يكون متمكنا من النقد الإبستمولوجي وأطر الفكر، ثانيا عليه أن يميز بين الاحتجاج والإدراك والتأويل والتفسير الذي يتم في الإطار المعرفي والعقائدي الدوغمائي، وبين التحليل والتفكيك للخطاب الديني. وأركون حاول تطبيق إشكاليات ومناهج اللسانيات والسيميائيات لتحليل الخطاب الديني.

إن تحليل الخطاب الديني أو تفكيكه لا يقوم بإبطال التفاسير الموروثة، بل يقوم بإبراز الصفات اللسانية اللغوية وآلات العرض والاستقلال والإقناع والتبليغ والمقاصد المعنوية الخاصة التي أسماها اركون بالخطاب النبوي.

وتحليل الخطاب الديني يتبنى تساؤلات الأنثروبولوجيا الدينية والثقافية والاجتماعية للوصول إلى التعرف على المفهومات والتصورات وطرق التأصيل للعقائد والمعاني التي تنبني عليها جميع الأديان. لذا أصر أركون على ضرورة دراسة العلم الأنثروبولوجي وتدريسه فهو الذي يخرج العقل من التفكير الدوغمائي المغلق إلى التفكير المفتوح، أي على مستوى مصالح الإنسان. فالعلم الآنثروبولوجي حسب نظر أركون يعلمنا طريقة التعامل مع الثقافات الأخرى بشكل منفتح ومتفهم، فهذا يجعلنا ننظر إلى الأمور بأعين مثقفة تفضل السلم على العنف والعلم على الجهل. فإذا تبنينا هذا التوجه المعرفي المنير وجب علينا أن نعيد النظر في مختلف العقائد والسنن الدينية من خلال إعادة القراءة للخطاب الديني والخطاب النبوي. (أركون، 2005، الصفحات 05-06)

ثم ينتقل أركون للحديث عن الوحي، والوحي في نظره هو الوحي القرآني، فماذا يقصد أركون بزحزحة مفهوم الوحي؟ وما خططه المنهجية التي يعتمدها في تحقيق ذلك؟ وما الأسس المعرفية التي يقترحها للوصول إلى هذه الغاية؟

مفهوم الأشكلة والزحزحة عند أركون:

يقصد أركون بالأشكلة في مفهوم الوحي أنه قد قام بتفكيك المفهوم التقليدي للوحي الذي ظل مسيطرا على البشرية لآلاف السنين ، ثم انتقل إلى مرحلة إعادة تقييم هذا المفهوم المركزي

وبلورة فهم آخر جديد له. وعملية التفكيك هي ما يدعوه أركون بالأشكلة، أي جعل المفهوم إشكاليا مهما بعد أن كان يفرض نفسه على أنه شيء بديهي لا يحتاج إلى جدال أو نقاش.

فالأشكلة تقوم على تفكيك مفهوم الوحي إلى تجلياته المادية المحسوسة، وذلك بمحاولة جعل المتعالي المفارق شيئا عاديا قابلا لأن يحلل على أساس العلوم الحديثة ومناهجها، وقابلا أن يخضع لنفس ما تخضع له النصوص البشرية من نقاشات وتطبيقات حديثة.

فأركون من أجل أن يصل إلى مرحلة الأشكلة عمل على اقتراح زحزحة مفهوم الوحي، وحاولة المساس بالمقدس الديني.

فعملية الزحزحة التي قال بها أركون تقوم على أساس الاستبدال؛ أي استبدال مفهوم الوحي الإلهي بمفهوم الخطاب النبوي، فهدفه من ذلك أن يتحدث عن خطاب النبوة. وبهذا التمييز يفسح لنا المجال من الناحية المعرفية أن نتجاوز الآراء اللاهوتية الشائعة عن مفهوم الوحي.

إذن أركون يهدف من خلال فكرة الزحزحة التي استلهمها من المستشرقين إلى التخفيف من قدسية الوحي القرآني ولهذا السبب هوجم لأنه مس بالمقدس الذي لا يقبل المساس ويسلم به بدون نقاش.

فالزحزحة الأركونية عموما تقوم على استبدال مفهوم القرآن بالخطاب النبوي، أي خلع صفة الإلهية عن الوحي، من خلال جعل النص القرآني خطابا نبويا، ومن ثم بشريا، وقد ذكرني موقف محد أركون بموقف المفكر الإيراني محمد مجتهد شبستري حينما رأى بأن القرآن كلام بشري يصدر عن محمد وليس بكلام إلهي.

وبهذا الإعتبار يمكن القول النص القرآني هو خطاب نبوي ثم خطاب بشري، فيصبح النص القرآني خطاب يخضع للنقاش حاله حال النصوص البشرية الأخرى. وهنا يقترح أركون توظيف المنهج الظاهراتي القائم على التعليق فإذا علقنا على التحديدات اللاهوتية المفروضة بخصوص المفاهيم، فإننا نستطيع بسهولة أن ندمج الوظيفة النبوية في الآليات التاريخية والنفسانية والاجتماعية والمنطقية التي تؤدي إلى ظهور الرجال العظام.

إذن الزحزحة عند أركون تنزع من النص القرآني إلهيته وتجعله نصا نبويا ، وقد اعتمد أركون استراتيجية لذلك.من خلال تفعيل خطة الزحزحة عبر نزع الخصوصية النصية المفارقة.

إذن قراءة أركون النقدية للقرآن تهدف إلى إزالة طابع التقديس عن النص القرآني، حيث تربطه بشروطه التاريخية واللغوية والثقافية، كما تسعى إلى نزع الأدلجة عن كل تركيباته الفكرية والعقائدية السابقة.

نستنتج أن أركون في تحليله للخطاب القرآني وظف عدة آليات منهجية كالمنهج الألسني السيميائي، ومنهج المقارنة الأنثروبولوجية، ومنهج النقد التاريخي. ونحن بدورنا سوف نسلط الضوء على المحطة الألسنية لأنها تشكل أصعب محطة في تدخله المنهجي. (الأندلسي، 2011، صفحة 117)

2.3 المقاربة الألسنية السيميائية

هاته المقاربة تقوم على تسليط الضوء على المشروطية اللغوية للنص المقدس، المكتوب بلغة بشرية، والخاضع لإكراهاتها النحوية والصرفية واللفظية والبلاغية والدلالية، وللإكراهات السوسيولوجية والثقافية للبيئة التي ظهر فيها. إن التحليل الألسني للقرآن يقوم على عدة مستويات، المستوى الأول هو التحليل النحوي أو القواعدي حيث يهتم بدراسة صائغات الخطاب وتشكلاته، كشبكة الضمائر والعلاقات فيما بينها والأسماء والأفعال والنظم والإيقاع والنموذج الفاعلي ودراسة صائغات الخطاب ضرورية في قراءة القرآن لأنها هي التي تفسر آليات الاشتغال النحوية واللغوية والدلالية لذلك الخطاب، يضاف إلى التحليل اللغوي والنحوي ثلاث جوانب كبرى في الخطاب القرآني هي تركيبته المجازية، وبنيته السيميائية أوالدلالية، وتداخل نصه مع النصوص المقدسة الأخرى.

إن إنجاز التحليل السيميائي بشكل صحيح يؤدي إلى اكتشاف البنية الدلالية النموذجية المحددة للمعنى الشمولي للخطاب القرآني، والموجهة لجميع أنماط الخطاب كالنمط النبوي، والنمط الحكمي، والنمط التشريعي، والنمط السردي القصصي. (الأندلسي، 2011، صفحة 117) إذ يوجد في تراثنا الإسلامي قصص عديدة مرتبطة بالأنبياء، هاته القصص تشكل الخلفية الأسطورية وتفسر لنا سبب نزول كل آية من القرآن الكريم، فهاته القصص تشكل علاقة وطيدة بين تفاسير القرآن وبين المخيال الديني. ودلالة معنى هذه القصص منعكس على الخطاب القرآني. إلا أن أركون يرى أن تصورالوحي هو المصلح المهيمن على المعنى في الفكر الإسلامي، (أركون، 2005، صفحة 30) إن علم الألسنيات الحديثة يحوي على

مصطلحات: مصطلح الدلالات الحرفي، ومصطلح الدلالات المحيطة بالنص، فنجد أن التفسير الإسلامي لا يأخذ إلا بالمعنى الحرفي ويهمل المعنى الثاني.

لقد ذهب أركون للقول بأن كل القصص والأحكام والموضوعات والمجادلات والايضاحات والتعاليم والأحداث المعبر عنهاخلال عشرين سنة بصفتها كلام الله مركبة نحويا تتمثل في الله ومحمد، فالمتمعن في الخطاب القرآني يكتشف أن هناك توتر بين الله وبين الإنسان. فالقصص الواردة في القرآن موجهة للبشرية عامة بين مؤيد لما ورد في النص القرآني ويكافئ بالجنة يوم العث وبين معارض له وجزاؤه النار. وهنا نلاحظ أن الخطاب القرآني استخدم ضمائر لمخاطبة القارئ، وكذلك التحليل النحوي الذي يحوي ثلاثة جوانب من الخطاب القرآني هي: تركيبته المجاية، بنيته السيميائية النصية، تداخليته النصانية (أي علاقة النص القرآني بالنصوص الأخرى) عند تطبيق أدوات الألسنيات الحديثة ومفاهيمها تغاضى أو بالأحرى أهمل المفكرين المسلمين وكذلك المشتشرقين مثال القرآن من أجل تطبيق هاته الأدوات على الخطاب القرآني. (أركون، 2005، صفحة 32)

كما يسعى التحليل السميائي إلى الكشف عن المغالطات أو التلاعبات الدلالية التي يتم إخضاع النص القرآني لها. فهي تصوغ أطر سردية دراماتيكية مرتكزة كلها على النزع من السياق الأصلي وإعادة إدراجها في سياق آخر جديد، ويفعل المفسرون ذلك من أجل خلع المشروعية الإلهية على تفاسيرهم أي على مجمل ما يدعى ب التراث الإسلامي الحي. وهذه العملية التي لا تميز بين لحظة القرآن واللحظات الأخرى هي التي يدعوها أركون ب التلاعبات السيميائية. وظيفتها تتمثل في توهيم المتلقي أن التراث كله مقدس وتستشهد بالآيات القرآنية على ذلك، وبالتالي تقحمها في سياق فكري وسياسي آخر غير سياقها الأصلي الذي ظهرت فيه.

إن توظيف آليات التحليل السيميائي في قراءة النص القرآني يكشف كيف أن الله والوحي والقرآن والسنة والشريعة تتاجد كفواعل متماسكة حية جوهرانية، وكسيادات عليا إلزامية ونهائية، تعمل على صياغة الهيكلة المسيطرة للفكر الإسلامي وتتحكم في التطور التاريخي لمجتمعات الكتاب المقدس. (الأندلسي، 2011، صفحة 117)

4.خاتمة:

- محمد أركون تخصص في الدراسات الإسلامية في الفكر العربي المعاصر، وقد ركز على قضايا أثارت جدلا واسعا في ثقافتنا العربية الإسلامي، ومحاولة مساسه بالمقدس الإسلامي، من خلال دعوته إلى إعادة قراءة النص القرآني قراءة علمية نقدية .

- أراد أركون من مشروعه إعادة قراءة النص الديني قراءة علمية نقدية، أن يحرر الفكر من قيود الهيمنة والسيطرة من قبل رجال الدين، وأن يصل إلى الحقيقة التي يراها بأعينه هو، لا الحقيقة التي تأتيه طبق من ذهب.

- على قارئ الخطاب القرآني يجب أن يتمتع برؤية نقدية إبستمولوجية، وأن يميز بين التفاسير الدينية وبين تحليل الخطاب الديني.

- أشكلة النص الديني عند أركون يقوم على إلى إعادة القراءة بطريقة مغايرة ومختلفة عن القراءة السابقة. فالأشكلة تعني وجود مشكلة في النص الديني وهذا يدفع القارئ إلى إعادة قراءة هذا النص.

- يهدف أركون من مشروعه النقدي إلى فتح دائرة النقاش والمسائلة والإنفتاح عن الثقافات الأخرى، وإلى إزاحة القوقعة التي سيطرت على الفكر الإسلامي.

- الفكر الأركوني فتح لنا طريق التساؤل والنقد والرفض عن كل شيء مبهم للإنسان ومخالف للمعارف العلمية. فأركون كان جريئا جدا حينما قال بإعادة قراءة النص الديني وفق رؤى منهجية جديدة مخالفا التفاسير السابقة. وبالتالي لأصبح القرآن نص بشري حاله حال النصوص البشرية أخرى، ويخضع لإعادة القراءة. لكن حسب ما قاله أركون فإن القرآن كلام محمد لا بكلام الله فهل يمكن لبشري أن يخلق مثل هذا الكلام القرآني وأن يفسر لنا العلل الحقيقية وراء حدوث الأشياء؟

- إن المنهج التفكيكي الذي استند إليه أركون في دراسة العقل العربي الإسلامي فتح لنا آفاق جديدة لكي ننفتح على الآخر ونتجاوز اقوقعة التي كنا فيها.

- تحليل الخطاب الديني يدفعنا إلى إعادة أشكلة علاقتنا مع الأسئلة الأصلية المنبثقة من شروط وجودنا مثل أسئلة الحياة والموت، والخير والشر ..إلخ، وإعادة الأشكلة ستحررنا من التحديدات اللاهوتية والميافييقية والأخلاقية التي كرسها التراث الإسلامي عن تلك القضايا. (الأندلسي، 2011، صفحة 118)

- تحليل الخطاب الديني عند أركون وتفكيكه لا يلغي أبدا كل تفسير سابق، بل يحاول من خلال هذا الخطاب إلى استخراج معنى جديد، وذلك بالإستعانة بأسلوب الإقناع وكذلك إستخدام اللسانيات اللغوية في تأصيل هذا المعنى المغاير.

5. قائمة المراجع:

- أركون، محمد، (1996) ، العلمنة والدين" الإسلام المسيحية الغرب"، بيروت-لبنان، دار الساقي.
- أركون، محمد، (1996) ، الفكر الإسلامي قراءة علمية، رأس بيروت- الدار البيضاء، المركز الانماء القومي والمركز الثقافي العربي.
- أركون، محمد، (2005) ، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، بيروت-لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- أركون، محمد، (1996) ، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، بيروت -الدار البيضاء، مركز الانماء القومي والمركز الثقافي العربي.
- أركون، محمد، قضايا في نقد العقل الديني "كيف نفهم الإسلام اليوم" بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- أركون، محمد، (1991) ، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، بيرت-لبنان، دار الساقي.
- الأندلسي محمد، (أكتوبر 2011) ، نحليل الخطاب الديني، النص القرآني كنموذج، المبادئ النظرية والآليات المنهجية والنتائج الإبستمولوجية، مجلة الأزمنة الحديثة، العدد 03-04، ص ص116، 118.

- الحسن، مصطفى، (2012) ، الدين والنص والحقيقة "قراءة تحليلية في فكر محمد أركون"، بيروت-لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- نور الدين، رفاس، (2017) ، الخطاب الديني وتأويلاته في الإسلام "محمد أركون أنموذجا "، مجلة التدوين، العدد 12، ص 09 .
- زروخي، الشريف، (2017) ، الأنسنة وإمكانات اختراق اللامفكر فيه في النص الديني، مجلة دراسات، العدد السابع، ص 176-178 .
- سدراتي، صبرينة، (2016) ، الخطاب في فكر ناصر حامد أبو زيد، مجلة دراسات، العدد الخامس، ص53-54 .